بداية القرن الماضي، حينما نشر كتابه «اسمعي يا اسرائيل» واقترح فيه اقامة مستعمرات يهودية في فلسطين لكي تكون، بدورها، مقدمة ضرورية «للخلاص المنتظر». وقد اشار الكلعي الى فكرة العودة في مقالة تحت عنوان «الخلاص الثالث ـ ١٨٤٢» ميز فيها بين مفهومين: العودة الفردية، والعودة الجماعية. وجعل العودة بشكل فردي، تعني «ان على الانسان ان يبتعد عن الطرق الشريرة ويتوب». اما العودة الجماعية فتعني «ان اسرائيل كلها يجب ان تعود الى الارض التي هي ارث آبائنا، لاستلام الامر الالهي ولقبول نير السماء»[٨].

كما استنبط معادلة جديدة للتغلب على الصعوبة التي تمثلها عقيدة المسيح المنتظر، زاعماً ان النشاط الاستعماري على مستوى البشر «سوف يمهد السبيل لمجيء السيد المسيح». ثم انصرف الى وضع ما سمّاه «برنامج الخلاص الذاتي» لكي يقوم اليهود، انفسهم، بتحقيق العودة الجماعية الى فلسطين[٩]. وقد كان لافكاره تأثير كبير على برنامج الحركة الصهيونية فيما بعد.

وأصدر الحاخام البولوني تسفي هيرش كاليشر (١٧٩٥ ـ ١٨٧٤) كتابه «مطلب صهيون» سنة ١٨٦٢. كتب فيه عما سمّاه البداية الطبيعية للخلاص، ودعا المحسنين والمتمولين اليهود الى تقديم المساعدات لانشاء المستوطنات والمستعمرات الزراعية في فلسطين؛ كما اقترح على هؤلاء تأسيس شركة للاستعمار تقوم بجمع الاموال لشراء الاراضي في فلسطين واسكان الفقراء من يهود اوروبا الشرقية فيها[١٠].

لقد تأثر المفكر الالماني موزس هس (١٨١٢ ـ ١٨٧٥) بالافكار التي نادى بها الحاخام كاليشر، والتي ضمنها كتابه المشار اليه، فاستشهد ببعض مقاطع منه حين وضع كتابه «روما والقدس» الذي صدر في السنة ذاتها. وقد احتل هس مكانة مرموقة في الفكر الصهيوني، اذ يعتبر الاب الحقيقي للقومية اليهودية والداعي الى الصهيونية الحديثة. لقد تناول في كتابه مسألة «بعث الامة اليهودية الى الحياة ثانية»، كتب: «يتوجب علينا ان نبقي فكرة البعث السياسي لامتنا حية اولاً، وان نرقب هذا الامل حيث بدأ يغط في سبات عميق ثانياً، وعندما تتهيأ الظروف السياسية في الشرق لدرجة تسمح بتنظيم عودة الدولة اليهودية الى الحياة، ستكون هذه العودة بتأسيس مستعمرات في أرض اجدادنا»[١١].

ثم تعرض ليو بنسكر (١٨٢١ ـ ١٨٩١) الى المسألة اليهودية ودعا الى احياء القومية اليهودية. وعلى الرغم من انه، في كراسه «التحرر الذاتي»، الذي ألفه العام ١٨٨٢ والذي اصبح انجيل جمعيات «احباء صهيون»، فيما بعد، لم يأت على ذكر فلسطين «لكي تكون تلك البلاد اليهودية المستقلة». الا انه بعد ان تولى زعامة جمعيات «احباء صهيون» في العام ١٨٨٧، بعد مؤتمر هذه الجمعيات الثاني في دروسكينيكي، فقد تبنت تلك الجمعيات مسألة تشجيع استعمار اليهود لفلسطين والاراضي المجاورة، عن طريق اقامة مستعمرات جديدة او مساعدة المستعمرات القائمة[١٢].

والى جانب الصهيونية الدينية، فقد شهد النصف الاخير من القرن التاسع عشر محاولات لانشاء الصهيونية السياسية. وقد تزعم تلك المحاولات تيودور هرتسل، حيث اصدر كتابه «دولة اليهود» في العام ١٨٩٦، واصفاً اياه بأنه «محاولة لايجاد حل عصري للمسألة اليهودية». وقد تصدرت كتابه العبارة التالية: «الفكرة التي عالجتها في الكتيب هي فكرة قديمة تتعلق ببعث الدولة اليهودية». ويحدد هرتسل المشكلة اليهودية بقوله: «ليست مشكلة